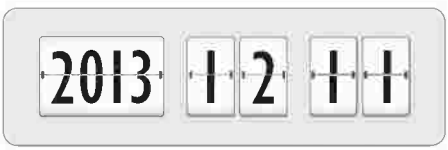

فرحة هيلاري بتحصين بل ضد سائر الاتهامات باللاوفاء المادي لم تدم طويلًا؛ افتتحت جلستها التالية قائلة: هل تعرفين هذا البيت من شيكسبير دكتورة: «حين تأتي المشكلات فهي لا تأتي منفردة بل تنقضُّ أفواجًا». إنه وصف ينطبق تمامًا على حياة عائلة كلنتون.

قلت: يا إلهي! يؤسفني أن أسمع ذلك يا هيلاري، ماذا حدث؟

ما أن كدنا نضع مشكلة انحرافات بل جانبًا حتى بدأت النيويورك تايمز تضايقني؛ وصمتني باللا أخلاقية لأني كنت، في مؤسسة روز الحقوقية، أمثِّل موكلين سبق لهم أن عقدوا صفقات مع الولاية، وقد عبر المراسل جيف غيرث أيضًا عن الشك حول مدى أهليتنا؛ بل وأنا، للتعامل مع جيم وسوزان ماكدوغال اللذين كانت مدخراتهما وقروضهما خاضعة لتنظيم الولاية. وشراكتنا مع الزوجين ماكدوغال كانت منطوية على استثمار وايتووتر العقاري وفتحت كيسًا جديدًا كليًّا من الإشكالات ربما قرأت عنها.

كما تعلمين، أنا إنسانة شديدة التكتم، واستقامتي بالغة الأهمية بالنسبة إلي؛ منذ طفولتي المبكرة وأنا مقتنعة بأني فاضلة فوق مستوى اللوم على

الصعيد الأخلاقي، لا أستطيع تصور إهانة أكبر من التشكيك بأخلاقي. شخصيتي بالذات تعرضت للهجوم من قبل مجتمع واشنطني بدا كلي الحرمان من أي شيء محترم أو مبدئي.

كنت مؤمنة بأن الموكلين الذين أختار تمثيلهم، وبأن ما أفعله باستثماراتي، لم يكونا من شأن أحد سواي، فرفضت الرد على أسئلة غيرث. اتهمت بالغطرسة وبعَدٍّ نفسي فوق مستوى المساءلة. تمثل جوهر الاستياء بأنه كان علي، لو لم يكن لدي ما أخفيه، أن أرد على أسئلة غيرث، بدلًا من اعتماد ما بات يعرف بإستراتيجية (أعلى ما في خيلك اركبه! يا جيف غيرث!).

خمَّن موظف البيت الأبيض لاني ديفيس أن مسلسل الأحداث كله الذي أفضى إلى تحقيق وايتووتر الذي تمخض عن تعيين وكيل النيابة الخاص كن ستار، وصولًا إلى التحقيق مع مونيكا لوينسكي، الذي قاد آخر المطاف إلى اتهام بل، يمكن إرجاعه إلى مقال جيف غيرث في النيويورك تايمز.

صرختُ قائلة: «ألن تعرفي أنني كنت سألام على اتهام بل؟ كان يلهو كلما استطاع، وكنت أتولى إنقاذه دائمًا، ومع ذلك يجري تحميلي مسؤولية الورطة كلها! جل الناس في هذه البلدة مفتقرون إلى عتبة الألم. لا أحد يستطيع أن يقول ذلك عن هيلاري كلنتون مع أن أكثر الناس لا يصدقون. يصمونني بالقسوة وعدم الرحمة ولكنهم يجهلون مدى هول الآلام التي أكابدها في ليالي الأرق اللانهائية. أسألك دكتورة، هل هذا إنصاف؟ أكرر، هل هذا إنصاف؟».

شعرت بالأسف من أجل هذه المرأة اللامعة التي عوملت بهذه النزعة الثأرية الانتقامية من قبل كل من الجمهوريين من ناحية والصحافة من ناحية أخرى. قلت: أتفق معك يا هيلاري؛ نادر ما يُعثر على أي شخص في هذه الحياة حصل على ما يستحقه بجدارة.

نظرت إلي مستفهمة وسألت: حتى أنت يا دكتورة؟.

ابتسمت: نعم، حتى أنا يا هيلاري. أنَّتْ ومسحت دموعها.

ثم قالت: بعد مدة، عادت الأمور إلى مجاريها قليلًا، كما تفعل عادة. جيد أنها فعلت وإلا لما عرفت ما كان من شأن وضعي أن يؤول إليه اليوم. تأثر ناخبو هامبشاير باعترافات بل حول انحرافاته وصولًا لا إلى مجرد الصفح عن هذه الحماقات وحسب، بل وعن استساغتي للتكتم، فكانت إجادتنا كافية آخر المطاف لبقائنا في حلبة السباق.

في التمهيديات الرئاسية طارد منافسيه حتى التعادل في كولورادو، ثم انتقل إلى انتصارات حاسمة في كارولاينا الجنوبية، إيلينوي، وميتشيغان.

لسوء الطالع، بادر رجل الأعمال التكساسي روس بيرو بإلقاء قبعته في الحلبة، ودفع بل في استطلاعات الانتخاب العامة إلى ما دون كل من بوش وبيرو، غير أن صحفًا نيويوركية مثل النيويورك تايمز، البوست، والديلي نيوز نجحت في سد الفجوة حين بادرت بحماس إلى تأييد بل الذي استطاع بسهولة أن يكون الأول في تمهيديات نيويورك. أنا عاشقة لتلك الولاية! ساهم في ضمان ترشيحه من خلال الفوز في نيوجيرسي، نيومكسيكو، مونتانا، وحتى كاليفورنيا، حيث نجح في إلحاق الهزيمة بجيري المعروف بشعبيته في ولايته بالذات.

مدعومين بهذا الطوفان من الانتصارات طرنا؛ بل وأنا، فرحًا في مؤتمر انتصاري بحديقة ساحة ماديسون حين قام ماريو كومو؛ أحد كبار القادة الديمقراطيين، بإعلان اسمه مرشحًا. ألقى بل خطاب قبول شديد الإثارة ركز فيه على الطبقة الوسطى المنسية، أولئك الذين يعملون ويسددون ما يترتب عليهم من ضرائب كي يمكِّنوا أولادهم من التمتع بحياة أفضل. انهمرت الدموع على وجنتي حين تحدث عن ليلة ميلاد تشلسي. أذكر ما قاله جيدًا: «طفت علي فكرة أن الرب كان قد أنعم علي ببركة لم يعرفها أبي قط: فرصة حمل ابنتي في حضني. في مكان ما عند هذه اللحظة بالذات، ثمة طفل يولد في أمريكا. فلنجعل منح ذلك الطفل بيتًا سعيدًا، عائلة سليمة، ومستقبلًا واعدًا، قضيتنا!».

لا أحـد يسـتطيع أن يكون بالـغ التأثير مثل بل حين يتكلم بمثل هذا الشـغف، كاد البيت يتهدم من عنف التصفيق الذي أرعد على امتداد الساعة التي دامها الخطـاب. مـا من أحد صفـق أكثر مني أو لمـدة أطول، مفعمـة بفيض من الحب لزوجي، الرئيس المقبل لجمهورية الولايات المتحدة.